ظاهرة التلبثي

وما يتبعها من ظواهر

— ٣ —

لاحمد فهمي أبو الخير

ظاهرة التلبثي والروح

مرَّ بنا في الامثلة التي ضربناها أن ثمة ظواهر اخرى تقترن بظاهرة التلبثي لهذا يتحتم فحص هذه الظواهر مجتمعة فقد نصل الى ما يستجلي حقيقة هذه القوى النفسية الخفية . فأولاً وقبل كل شيء نحن نعلم أن الجسم الميت لا يستطيع أن يرى ولا أن يسمع أو يلمس أو يشم أو يذوق . فهو لا يحس ولا يشعر ، وصدق من قال « ما لجرح بميت إيلام » .

فلماذا فقد هذا الجسم الميت الحس والشعور ؟ لقد فقده لأن الجسد قد فقد الروح . فالروح اذاً هي المسئولة عن كل هذا . ولكي نشعر بالتأثيرات الخارجية كان من الضروري على الروح أن تكون في حالة تستطيع فيها التلقي أو الاستقبال . وقد ينغمر الواحد منا في التفكير فلا يسمع الصياح حتى ولو كان الصياح في أذنه . ويقول الرواة ان الشهداء يقعون عند استشهادهم في حالة انغمار للوعي فلا يستشعرون ألماً . وعندما يولد الطفل تكون له هذه الحواس كلها ، ولكنه لا يعي كيف يستخدمها برغم انه رزق القدرة على استخدامها . فهذه القوى موجودة وهي التي يسميها الدكتور رو « القوى الاولية للنفس » وهي لا تمارس إلا اذا وجد منبه خارجي يثيرها . مثال ذلك ان السلع المرئية لا بدَّ أن تنعكس أو تبعث ضوءًا ولوناً لكي تمكن هذه القوى النفسية الأولية من ادراكها ، فتستطيع من ثمَّ أن تدرك العالم الخارجي . ويحدث هذا المنبه تغيرات في عضو الحس الذي يقود الاحساس أو الرسالة الى مراكز الدماغ حيث يتحول على الفور الى حالة تدركها هذه القوى الأولية للنفس . فالنفس ، والنفس وحدها ، هي التي تمكننا من ادراك الأشياء . وعضو الحس بالاشتراك مع مركز الحس في قشرة الدماغ هو الوسيط بين الشيء الخارجي أو المنبه وبين الـ « أنا » أو

النفس ، وبعبارة أخرى هو حلقة الاتصال بين الشيء الخارجي وأنفسنا . ولا ننسى ان من هذه القوى البدائية الأولية يتكوّن جوهر الوجود الذي تتألف منه النفس عند الولادة . من هذه القوى تتكون المادة الروحية التي تتكثف منها بالتدريج كل الصيغ العقلية

ويجب أن لا يغرب عن البال أن أعضاء الحس ، برغم أهميتها باعتبارها حلقة الاتصال بين العالم الخارجي وبين النفس ، ليست ضرورية لها لأن النفس تستطيع أن تتلقى المنبه خلال قواها الأولية مستقلة تماماً عن أعضاء الحس . نعم تستطيع هذا ولكن بتوافر ميزات خاصة . وهذه الميزات نادرة ، ما في ذلك شك ، ولكنها موجودة فعلاً ، وقد حققها كثيرون من البحاث ، مثبتين انهُ قد يكون « عقل ولا مخ ، وحس ولا أعضاء للحس »

***

مما مضى يتضح أن هناك روحاً أو نفساً ، سمها ما شئت ، تستطيع أن تعمل مستقلة عن الجسد وأعضاء حسه وعن المخ ، وقد يكون المخ وأعضاء الحس والمنبهات الخارجية شروطاً لازمة لادراك العالم الخارجي المحيط بنا ، ولكنها ليست سبب هذا الادراك وليست مصدره

***

ولقد برهنت ظاهرة التلبثي على أن خفايا عقولنا عرضة للغزو ، ودلت على أن من الضلال الظن بأننا ننسج أفكارنا في مصانع المخ المحلية ، واننا نخزنها فيها ما طاب لنا الخزن . والظاهر اننا نوجد في « جو عقلي عام » وان عقولنا تعمل في هذا الجو كأنها محطات استقبال تستقبل الالهامات الروحية ، يدلك على ذلك خطور فكرة واحدة بعقول متفرقة في وقت واحد . ولقد تعدّد حدوث هذا التوارد في الخواطر في وقت واحد ، حتى ليصح اعتبار أنفسنا في اتصال دائم بالتلبثي مع اخواننا وزملائنا (الموجودين في عالم المادة على الاقل) دون وعي منا بهذا الاتصال

على أننا قبل أن ننسب هذه الظواهر الى وجود الروح نردد ما قاله العلامة الأستاذ هنري أرمستر ونج في تعقيبه على كتاب المسألة The Question لمؤلفه مستر كنود فقد قال « يخشى بعد هذا أن يكون الكثير جداً من العلم الحديث مجرد تمويه حتى حين يكون هذا الكثير صحيحاً علمياً من الناحية التجريبية ، وغالباً يكون التأويل خطأ يميل كثيراً مع الغرض والهوى وذلك لأن كثيرين جداً يلمعون بالعلم مع أنهم ليسوا علميين ولا يمكن أن يكونوا علميين . الواقع ان العلم تغشاه سحابة كثيفة »

التلبثي وطرح الروح

وفيما يلي خلاصة وصف تجربة علمية أجريت على الوسيطة الشهيرة والكاتبة القديرة مسز ايلين جارت وقد أجريت هذه التجربة سنة ١٩٣١ تحت اشراف جمعية البحوث النفسية الاميركية على ظاهرة « التلبثي عن بعد » وذكرتها مسز جارت في كتابها النفيس « حياتي كاستقصاء لمعنى الوساطة » الصادر سنة ١٩٤١ وقد ذكر هذه التجربة العلامة بارزيني في كتابه « الانسان خارج جسده » الصادر في ربيع سنة ١٩٤٣ . والذي حدث في هذه التجربة هو أنهُ طلب الى مسز جارت وهي جالسة في حجرة في نيويورك أن تتصل بطبيب شهير من أعضاء جمعية البحوث النفسية الاميركية مقيم في نيو فوندلاند التي تبعد عن نيويورك مئات من الاميال والتي لم تكن مسز جارت قد زارتها قط من قبل ، وأن تدلي الى البحاث المختبرين الموجودين معها في نفس الحجرة بنيويورك — كل ما يحدث لذلك الطبيب وما يصدر عنهُ ، وبكل ما ترى وما تسمع . والى قرائي ما ذكرته في كتابها . قالت :

« أعرف في قرارة نفسي أنني لكي أجري التجربة بنجاح لابد لي من طرح روحي طرحاً واعياً حتى أصل الى هدفي الذي أتوقع الوصول اليه في نيوفوندلاند » ثم مضت تشرح طريقة الطرح وميكانيكا عمليته مما سنرجيء ذكره الى ما بعد وصفها ما تم لها مع ذلك الطبيب الذي طرحت روحها اليه ، والذي آثرت ألا تذكر اسمهُ قالت :

« لما طرحت روحي قاصدة نيوفوندلاند حيث يوجد المكان المتفق على اجراء التجربة فيهِ رأيتني في الحي هناك ، ولكني قبل أن أدخل المنزل استطعت أن أرى الحديقة والبحر كما استطعت أن أرى المنزل المفروض أني سأزوره . وشعرت فعلاً برطوبة الجو ، ورأيت الزهور نامية على جانبي الطريق . ثم مررت خلال الجدران واذا بي أجدني في داخل الحجرة التي ستتم فيها التجربة ، ولكني لم أجد أحداً هناك ، فاتجهت بنظري نحو السلم باحثة عن ذلك المختبر الذي اخبرت بأنهُ سيكون بانتظاري . ووجدت أني اذا صعدت على السلم للبحث عنهُ فلن يكون معنى هذا إلا اضافة مجهود الى ما بذلت غير أني لحسن الحظ رأيتهُ آتياً هابطاً من السلم في تلك اللحظة ، ثم دخل الحجرة التي عرفت أنها اختيرت مقراً لاجراء التجربة

ولم يتضمن ما تم من الاحداث حتى ذلك الوقت ظاهرة التلبثي فحسب بل تضمن كذلك سلسلة كاملة من مظاهر الحس غير العادي جمعت بين الجلاء البصري والجلاء السمعي والتنبؤ بما سيكون

وكان ذلك الطبيب الموكول اليه اجراء التجربة ذا قوى حس غير عادية ، فقد بدا عليه

أنهُ أدرك وجودي وشعر بأن التجربة قد بدأت . وسيتضح مما سأرويه أن كلاً منا كان يدرك وجود الآخر

« قال بصوت مرتفع : « ستكون تجربة ناجحة » . وقد استطعت وأنا جالسة في تلك الحجرة ، بنيويورك أن أتلقى هذا الكلام وكأنهُ يخترق سمعي الفيزيقي . وخاطب ذلك المختبر في نيوفوندلاند روحي المطروحة الى حجرة مكتبه وكأنهُ يحدثني قال : « انظري الى ما هو موجود فوق المكتب » وصدعت بأمره وانقدتُ له منذ تلك اللحظة . واستجبت لقوله كما يستجيب الشخص المنوّم مغنطيسيًّا للايحاء . واستطعت أن أرى الاشياء الموضوعة فوق المكتب لا بالرؤية العادية ولكن بالجلاء البصري . وعندئذٍ أدليت بوصف ما رأيته الى الشخص الموكل بتدوين ما أقوله في نيويورك وسمعت الطبيب يقول : « قدمي اعتذاري للقائمين بالتجربة في الطرف الآخر هناك ، فلقد وقع لي حادث ولم أستطع العمل كما كنت أوجو وأمل » ونقلت ما كنت أسمعه في نيوفوندلاند الى الكاتب في نيويورك بعين الالفاظ التي وجهت إليّ ، ووصفت كذلك الضمادة التي فوق رأس الدكتور . وما كدت انتهي من ذلك حتى قال لي المشرف على التجربة في نيويورك المنحي جانباً : « لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً لأني تسلمت منه خطاباً منذ بضعة أيام ، وكان الدكتور إذ ذاك في صحة تامة »

« وتابعنا التجربة وبقيت في حالة الطرح الروحي ، وتتبعت نشاط المختبر المقيم في نيوفوندلاند فكان الشيء الذي صدر عنه بعد ذلك هو اتجاههُ متمهلاً صوب خزانة الكتب وعرفت قبل أن يصل اليه الكتاب الذي كان يفكر فيه ، بل عرفت كذلك موضعه بين الكتب . وذاك هو التلبثي البحت . وتناول الكتاب بيده قاصداً أن أتمكن من قراءة اسمه وأنا حاضرة عنده ، ثم فتحه وقرأ في صمت فقرة منه . وكان ذلك الكتاب عن اينشتين وآرائه في النسبية ولما انتهى من قراءته في صمتٍ الفقرة التي اختارها استطعت أن أتلقى من عقله الانطباعات التلبثية لما قرأ . وقد أمليت على كاتب الجلسة في نيويورك معنى ما قرأ بكلمات من عندي . وأخبرني ذلك الطبيب في الوقت عينه بصوت مرتفع وأنا في حالة الطرح الروحي انه خلال اجراء تلك التجربة قد طرح روحه هو أيضاً الى حجرة النوم في نيويورك الخاصة بزميله طبيب العقول المشترك معه في اجراء التجربة . وجعل يصف الصورتين الفوتوغرافيتين اللتين كان رآهما هناك فعلاً عند زيارته السابقة الفيزيقية لنيويورك ، ولكنه قال عندئذٍ وهو في نيوفوندلاند ان تينك الصورتين قد نزعتا من مكانهما ، وان حجرة نوم صديقه قد أعيد طلاؤها بعد زيارته الفيزيقية

« وانتهت التجربة عند ذلك . وقال الكاتب عند الانتهاء ان التجربة كلها قد استغرقت خمس عشرة دقيقة . فلو كانت هذه التجربة قد اقتصرت على ظاهرة التلبثي وحدها ما استطعت قط أن اتصل بالمجرب المختبر ، ولا ان أراه هو أو الناحية التي يقيم فيها أو الحجرة التي وجد فيها ، ولا أن أمضي في التجربة

« وكل ما كان يمكن أن يحدث نتيجة للتلبثي البحت هو نقل الافكار التي جالت في خاطر المجرب المختبر وانطباعات الكلمات التي خاطبني بها بصوت عالٍ

« ومما يزيد في غرابة هذه التجربة ويجعلها فذة غير عادية هو أن طبيب نيوفوندلاند ذاك قد وهب القدرة على طرحه روحه وانه لذلك استطاع أن يتلقى الانطباعات المحية بطريق الجلاء البصري والتلبثي عن المكان المختار في نيويورك بينما كنت أنا أيضاً طارحة روحي لاصنع في منزله في نيوفوندلاند مثل الذي صنعه هو في نيويورك

« وأرسل بالبريد في تلك الليلة عينها بيان التجربة التي أجريت في نيويورك الى ذلك الطبيب المقيم في نيوفوندلاند . وفي الصباح التالي وردت برقية منه يصف فيها الحادث الذي وقع له قبل البدء باجراء التجربة ، وورد منه بعد ذلك بيوم خطاب ذكر فيه خطوات التجربة كما وصفتها أنا

« ولم تبرهن البرقية فقط على اني سمعت رسالته ووعيتها تماماً حين خاطب روحي المطروحة عنده بل برهنت كذلك على اني رأيت فعلاً رأسه المربوط بالضمادة . ويذكر قرائي قولي انهُ افتتح التجربة بالتنبؤ بنجاحها ، وقد تحققت النبوءة برمتها . واذاً أكون قد نجحت بالتلبثي في تلقي هذه النبوءة وارسالها ، وفي هذه الحالة يكون التنبؤ والتلبثي قد حدثا في آن واحد . وعرفنا من خطابه أنه استخدم مكتبه وأنهُ وضع فوقه بجموعه أشياء هي التي رأيتها تماماً بالجلاء البصري ، وصدقتُ كذلك في وصف كل خطوة سلكها هو . فالكتاب الذي تناوله ، وعنوانه وموضوعه ، والفقرة التي قرأها — كل هذا كان كما وصفته بعد ادراكي اياه خلال طرحي الواعي لروحي ، وتطبيقي ظاهرتي الجلاء البصري والتلبثي . وما كان يمكن اجراء مثل هذه التجربة المعقدة من دون استعمال وسائل الادراك الاضافية هذه »

***

والى هنا ينتهي وصف تلك التجربة الفذة ، ولكن يبقى بعد ذلك وصف أروع أجزائها ونعني به الجزء الخاص بميكانيكا عملية الطرح الروحي . قالت مسز جارت : « ان الذي لم يقبله

العلم في الجملة ، والذي أنا مع ذلك واثقة من صحته وصدقه ، هو ان لكل انسان مماثلا او مقابلاً من مادة أرق وألطف من جسمه الفيزيقي ، ويسمي بعض العلميين ذلك المقابل الجسم النجمي او الجسم الاثيري . وهذا بالطبع غير ذلك الواقي المحيط بالجسم والذي يظل متصلاً به طيلة طرح ذلك المقابل وبوساطة ذلك المقابل يتم كل من الطرحين العرضي والواعي . ويلاحظ اني في التجارب التي نحن بصددها كنت أطرح ذلك المقابل طرحاً واعياً . وأعرف من تجاربي اني حين أطرحه فان الطرح كان يتم من وسط صدري بين الثديين . وبمجرد ان أبدأ عملية الطرح أشعر في هذا الموضع من جسمي بجذب تصحبه رفرفة لهيب خفقاناً في القلب واسراعاً في التنفس ، كما يصحبه كذلك اختناق طفيف في الحنجرة ودوار في الرأس . وأظل أشعر بذلك في جسمي الفيزيقي طيلة مدة الطرح كلها

« وحين أكون في حالة الطرح هذه فان مقابلي يبدو كأنه قادر على استعمال النشاط العادي لكل حواسي الخمس التي تعمل في جسمي الفيزيقي . فمثلاً قد أكون جالسة في حجرة استقبال في يوم قارس البرد ومع ذلك فاني بالطرح أستطيع ان أصل الى مكان يكون صيفه في تلك اللحظة قائظ الحر . وعندئذ تستطيع حواسي الخمس كلها ان تشعر بالبحر وبالزهر ، فأتغنى من عبير الزهر وزهمة ماء البحر ، وأسمع الطيور تغني والموج يلطم الشاطئ . وقد يكون غريباً ان اقول انني ما نسيت قط أضأل تفصيلات مثل هذه التجربة خلال طرحي الواعي ، مع أن النسيان يغشاني في حياتي العادية ، وتضمحل ذكرياتي للاماكن والاشياء . وقد يكون من الشائق هنا ان أذكر بعض ما وجدتهُ من فروق بين طرحي الواعي وطرحي غير الواعي ففي حالة الطرح غير الواعي كما في أحلام النهار أو حين أكون عند حافة النوم فان مقابلي ينزلق مني بغير ارادتي ، وقد يصطدم أحياناً بعقبات في الفضاء تعوق حركته الحرة وتحدث رجيعاً أو عملاً عكسيًّا في مجموعي العصبي ، وصدمة في جسمي الفيزيقي . وأمثال هذه الصادمات لا تحدث البتة حينما أطرح نفسي في الفضاء طرحاً ارادياً ، ويرجع هذا الى اني أتحرك إذ ذاك حركة واعية بكيفية أكثر ليونة وميوعة »

* * *

من كل ما مضى يتضح أن ظاهرة التلبثي التي تعسف الماديون حيالها فأخرجوها عن وضعها الحقيقي لكي يباعدوا ما بين العلم والروح ، قد أدنت العلم في الواقع من الروح بل انها أصبحت دليلاً عمليًّا علميًّا على وجود الروح .